مجلة الحكمة للدراسات الاسلامية
Eissn :2773-4471 Issn : 2353-043X
المجلد 9 / العـدد: 2 (2022) ص 211 - 233

السياسة الإصلاحية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الأستاذ : عبد الرحمان ناتش[1] تحت إشرف : أ.د سامية جباري[2]
[1]جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة ،الجزائر
abderrahmane038@gmail.com
[2]جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة ،الجزائر

تاريخ الاستلام: 2022/01/15 تاريخ القبول: 17 /2022/03 تاريخ النشر: 2022/06/02

الملخص :

وقفت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في طليعة الجمعيات الدينية بالوطن العربي خلال القرن العشرين ، وذلك لمجهوداتها المتعددة و أعمالها الحضارية البارزة التي قامت بها على الصعيد الوطني من جهة و على المستوى العربي و المغاربي من جهة أخرى ، و لها الفضل في المشاريع الثقافية و الدينية والاجتماعية وحتى السياسية التي رسمت على مدى ربع قرن، كما لها الفضل في إحياء للدين الإسلامي وتطهيره من الشوائب التي علقت به من خرافات و بدع واعتقاد النفع والضرر في القبور و الأضرحة في نفوس الجزائريين ،و عملها على بعث وتطوير الثقافة العربية الإسلامية وفي مقدمتها اللغة العربية وتوحيدها للشعب الجزائري تحت راية الإسلام والعروبة ، ونشرها للوعي السياسي والوطني بين الأجيال التي رفعت راية الكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسي .

و سخرت الجمعية كامل جهدها لدعم الثورة التي قام بها أبناء الوطن سواء من الخارج وذلك من خلال مجهودات الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ مبارك الميلي و الشيخ عبد الحميد ابن باديس في الدول العربية والإسلامية والأجنبية وإسماع صوت الثورة الجزائرية في الخارج و ذلك من خلال المشاركة في المؤتمرات و اللقاءات ، وداخليا من خلال صحف و جرائد الجمعية وخصوصا البصائر التي واكبت أحداث الثورة من البداية إلى مختلف الظروف التي مرت بها و كانت

تخصص عناوين جرائدها لأهم الأحداث السياسية والاجتماعية و الدينية التي يمر بها الوطن .

الكلمات المفتاحية : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، التعليم ، المساجد،الصحافة ، المدارس ، العلماء .

Summary:

The Association of Algerian Muslim Scholars stood at the forefront of religious associations in the Arab world during the twentieth century, due to its numerous efforts and the prominent civilized works it carried out at the national level on the one hand and at the Arab and Maghreb levels on the other hand, and it is credited with cultural, religious and social projects and even It is also credited with reviving the Islamic religion and purifying it of superstitions and heresies, believing in the benefit and harm in graves and shrines in the souls of the Algerians, and its work on reviving and developing the Arab-Islamic culture, foremost of which is the Arabic language and its unification for the Algerian people under The banner of Islam and Arabism, and its dissemination of political and national awareness among the generations that raised the banner of armed struggle against the French colonialists.

The association devoted its full effort to support the revolution carried out by the sons of the country, whether from abroad, through the efforts of Sheikh Al-Bashir Al-Ibrahimi, Sheikh Mubarak Al-Mili and Sheikh Abdul Hamid Ibn Badis in the Arab, Islamic and foreign countries, and by making the voice of the Algerian revolution heard abroad, through participation in conferences and meetings. And internally, through the newspapers and newspapers of the association, especially the insights that accompanied the events of the revolution from the beginning to the various circumstances it went through, and the

titles of its newspapers were devoted to the most important political, social and religious events that the country is going through.

Keywords: Association of Algerian Muslim Scholars, education, mosques, the press, schools, scholars.

المؤلف المرسل: عبد الرحمان ناتش

مقدمة :

الثلاثينيات من القرن الماضي عرفت نهضة فكرية و سياسية بالنسبة للجزائريين ، و ذلك بعد بروز نخبة من أبناء الوطن من مختلف التخصصات من مصلحين و مثقفين و حتى من العمال المهاجرين و بدأ الوعي الديني والسياسي يتبلور بتأسيس و تنظيم تشكلات سياسية متعددة من يبنها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقد بدأت تبرز خلال هذه الحقبة الزمنية بوادر دعوة إصلاحية على مستوى جميع المجالات وخصوصا الميدان الديني والتربوي وبدرجة أكبر الدور التوعوي للجماهير الشعبية المنغلقة على نفسها من جهة والسائرة في ظل مخطط استعماري أغلق عليها جميع أبواب الانفتاح من جهة أخرى ، ما هو الدور الذي لعبته جمعية العلماء المسلمين في الحفاظ على الهوية الوطنية للجزائريين ؟ و ما هي أهم الوسائل التي اعتمدت عليها الجمعية في سياستها الإصلاحية ؟ .

و قد ظهرت جمعية المسلمين في البداية كمنظمة اسلامية إصلاحية تدعو إلى الحفاظ على مبادئ الهوية و التعليم وذلك في إطار الصحوة الإسلامية وحركات التحرر التي عمت العالم العربي كما أنها برزت بالساحة في الوقت الذي كثر فيه الحديث عن إدماج الجزائر بفرنسا و كان الإصلاح عند الجمعية عبارة

عن عمليات متواصلة ركزت على إصلاح النفس بإتباع الدين الصحيح بالكتاب والسنة ، كما حرصت على إبعاد الناس عن المتصوفة المنحرفين الذين كان لهم الدور المهم في نشر الخرافات والجهل و البدع و تضليل الناس عن دينهم القويم.

ودأبت على إصلاح المجتمع بنشر الفضائل والآداب وكذا توجيه الشباب وذلك بضرورة تعلمهم ومعرفتهم بلغتهم وإحياء تاريخهم وأمجادهم كما يقول أبو القاسم سعد الله:" والإصلاح بالمعنى الشامل قد يبدأ بالثقافة أو بالدين أو بالمجتمع ولكنه في نهاية الأمر يغطي كل مظاهر الحياة في مجتمع"[1]وقد اعتمدت الجمعية على عدة وسائل في نشاطها الإصلاحي حيث ركزت على التعليم المدرسي و المسجدي تحت مسمى" الإسلام ديننا و العربية لغتنا و الجزائر وطننا " ، كما ساهمت النوادي والصحافة في توعية المجتمع ودحض أهداف المستعمر من التجنيس و محاولة طمس الهوية الوطنية .

أولا- عوامل تأسيس جمعية العلماء المسلمين :

فرنسا منذ أن وطأت قدمها أرض الجزائر وهي تعمل بشتى الوسائل والطرق لمحو هوية الأمة الجزائرية وإزالة مقومات الشخصية الإسلامية من الوجود باعتبارها جزء من فرنسا ولها كامل الصلاحيات عليها ، حيث كان لزاما على رجال الجمعية التحرك باعتماد مختلف الوسائل لدفع هذه الأفكار متمثلة في التجنيس و الطمس و التجهيل والدفاع عن القضية الوطنية، لذلك تعددت جملة من العوامل التي أدت إلى تأسيس جمعية العلماء الجزائريين كمنظمة فكرية تهدف إلى الرجوع بالجزائريين إلى الإسلام الصحيح و مقوماته ، و تعليمية التي تهدف إلى نشر العلم بين مختلف شرائح المجتمع و محاربة الجهل و الشرك والخرافات المنتشرة

[1] أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1830م- 1900م، دار الغرب الاسلامي ، ج1 ط1 بيروت 1992م ، ص 224 .

في البلاد ، حيث كانت هناك عوامل داخلية وخارجية ساعدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على التأسيس والظهور في أوساط المجتمع الجزائري .

1- عوامل خارجية :

أدت عدة عوامل خارجية في ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان هدفها الرجوع بأبناء الوطن إلى تعاليم الدين الإسلامي ، و تحريرهم من الأفكار المسمومة التي زرعها المستعمر في أوساط المجتمع ، و قد ساهم أبناء الوطن بالخارج في نشر أفكار التحرر و الاستقلال بين الجزائريين الذين أصابهم الملل من الوعود الكاذبة للمستعمر و تتجلى هذه العوامل فيما يلي :

-ظهور حركات الإصلاح و التجديد الداعية إلى نبذ المستعمر و أفكاره المتطرفة التي تحرص على تجنيس و طمس معالم الهوية الإسلامية ، حيث تدعو إلى التمسك بالدين و المحافظة على مقومات الشخصية الإسلامية ، وتكوين جيل محب لوطنه و دينه و قد برزت معالمها في مختلف العالم الإسلامي و كان للدعوة في المشرق العربي الأثر الكبير في نفوس الجزائريين نحو التغيير و غد أفضل ، مثل : دعوة محمد بن عبد الوهاب بالسعودية التي كان هدفها محاربة الشرك و البدع و الدعوة إلى التمسك بالكتاب و السنة على فهم سلف الأمة ، و دعوة محمد عبده إلى الإصلاح والتغيير التي كانت بمصر،و ساعد على انتشار هذه الدعوة جريدة المنار بالجزائر و كان يصدرها رشيد رضا ، و دعوة جمال الدين الأفغاني عن طريق جريدة العروى الوثقى و مجلة الفتح لمحب الخطيب ، هؤلاء المصلحين وصلت دعوتهم عبر الصحف إلى الجزائريين التي غذت أفكارهم[2]

الحرب العالمية الأولى التي كان لها دور فعال في تبلور الحركة الإصلاحية من خلال مشاركة الجزائريين في الحرب العالمية ، وتأثرهم بأفكار جديدة مثل الحرية والاستقلال المساواة ، المستعمر ، الوطن ، حيث كان أغلب الجزائريين يجهل

[2] محمد بهي الدين سالم ، ابن باديس فارس الاصلاح و التنوير ، دار الشروق ، 1999م ، ص 66 .

مثل هذه المفردات و ما تحمله من مفاهيم لها الأثر البليغ في تغيير نفوس و أفكار الأهالي و السكان.

-تأثر الشخصيات الاصلاحية العربية سواء عن طريق الاحتكاك المباشر معها أثناء تأدية مناسك الحج و العمرة والرحلات العلمية إلى جامع الزيتونة و الأزهر والقرويين أو عن طريق المؤلفات و المجلات هذه المهّمة النبيلة قد باشرها منذ العشرينيات من القرن الماضي ذلك الرعيل الأّول من رواد الحركة الإصلاحية أمثال ابن باديس والإبراهيمي، والطّيب العقبي ومبارك الميلي، والعربي التبسي، وأحمد توفيق المدني، وغيرهم مّمن أدركوا بأن الوقت قدحان للنهوض بعملية التنوير الّتي هي أساس التّغييرِ المنشود .

-عودة ثلة من أبناء الجزائر من الحجاز مهد الإسلام الأول و مركز الدعوة ومبعث الإصلاح الديني و الاجتماعي و السياسي ، وأمثال الشيخ البشير الإبراهيمي و الشيخ العربي التبسي و الشيخ الطيب العقبي ، بعد أن تلقوا مختلف العلوم الدينية و العقدية التي ساهمت في تكوين جيل من أبناء الجزائر متشبع بالثقافة الإسلامية و الهوية الوطنية .

2- عوامل داخلية :

تنوعت العوامل الداخلية التي أدت إلى ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، حيث حمل أبناء الوطن في الداخل على تعليم الناس أمور دينهم ومحاربة الخرافات و البدع التي حرصت فرنسا على إنمائها و تغذيتها ، و كذا التضييق الاستعماري الذي طبق على المساجد و المدارس و الزوايا فكان لزاما على أبناء الوطن تأسيس حركة تجمعهم و توحد كلمتهم ضد المستعمر ، وتتجلى هذه العوامل فيما يلي :

- تأثير دروس الشيخ عبد الحميد ابن باديس التي كانت يلقيها لعدة سنوات بالجامع الأخضر بقسنطينة في الدعوة والإصلاح و نبذ البدع و الشرك ، ودعوته إلى تحرير الفكر الجزائري و توجيهه إلى ما يخدم مصالح البلاد .

- تدهور الأوضاع العامة و خاصة الثقافية و الدينية السائدة بالجزائر في أواخر القرن التاسع عشر و الربع الأول من القرن العشرين ، و ذلك بسبب النظام الاستعماري المطبق عليها في جميع ميادين حياة الجزائريين بما فيها اللغة والتعليم و الدين ، حيث ظهرت سياسة المستعمر منذ دخوله إلى الجزائر في محاولة طمس معالم الهوية الوطنية الإسلامية وفرنسة الشعب الجزائري و إلحاقه بفرنسا ، كما زعمت فرنسا أن الجزائر جزء منها و سكانها هم خدم وعبيد للفرنسيين ، حيث يستغلونهم في مختلف الأعمال و من يعصيهم يقتل أو يسجن .

- انتشار الطرق الصوفية التي أبعدت الدين الإسلامي عن أصوله ، حيث قامت بنشر الخرافات والبدع و الدعوة إلى التمسح و زيارة الأضرحة و القبور ، ويقول عبد الحميد ابن باديس : " و أخذت تختلق الخرافات و الأساطير و تنسبها إلى العلماء و الأولياء الصالحين و شجعت على إقامة الولائم العامة و حفلات الزَّار (الوعادي) التي أصبحت فيما بعد مراكز خطيرة لنشر دعاية الاستعمار الإلحادية " [3] و اهتموا باستغلال نفوس الفئة الجاهلة باستخدامها في أغراضهم الخاصة و التي لا تخدم إلا الوجود الاستعماري.

- التضييق الذي مارسته فرنسا ضد الدين الاسلامي بعد إصدارها لقانون يقوم على مبدأ فصل الدين عن الدولة و التضييق على المساجد و دور العبادة ، وذلك بهدم بعضها و تحويل البعض الآخر إلى كنائس و حتى التصرف في الشؤون الداخلية للمسجد ، حيث يقول عبد الحميد ابن باديس : " فأصبحت فرنسا

[3] أحلام بلولي ، بلاغة اللغة في أدب المقال الاصطلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي – عيون البصائر أنموذجا ، رسالة ماجستر، جامعة البويرة ، 2013م-2014م ، ص 12 .

المسيحية تتصرف على هواها في شؤون مساجد المسلمين و قضائهم و تعليمهم ، فلا تعين مفتيا أو إماما أو حتى خادما إلا إذا أظهر استعداده للتجسس على إخوانه المسلمين " [4]، والذي يجعلها تسيطر على الشعب من الناحية الدينية و الثقافية.

ثانيا :تأسيس جمعية العلماء المسلمين :

أصدر ابن باديس نداء سنة 1925م إلى العلماء و الصلحاء قائلا : " أيها السادة الأدباء المؤدين للإصلاح المتواجدين في مناطق متفرقة و مختلفة في الجزائر، هلموا و اتحدوا و تعاونوا و أسسوا حزبا وثيقا من أجل تنقية الدين من الشوائب و البدع التي لحقت به من السدج و الجاهلين ، و ذلك بالرجوع الى المصادر القرآنية و أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم و تقاليد القرون الثلاثة الأولى و إنا نتمنى أن يقبل كل شخص هذا الاقتراح و أن يلقى نداء العلماء و مؤيدي الإصلاح الذين يؤدون هذه الصحيفة ، و أن يغادروا أفكارهم القديمة وإن حصلنا على شهادة استحسان و قبوله من عدد كافي سنشرع في تكوين الحزب والله الموفق ..."[5] و كان رد الفعل قوي جداً فبمجرد وصول النداء إلى مسامع العلماء حتى بادروا إلى تبيينه و منهم الطيب العقبي و مبارك الميلي و غيرهم .

و قد خرجت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الوجود في الخامس من مايو عام 1931م و كان مركز نشاطها الأول نادي الترقي بالجزائر العاصمة ، و في اليوم الموالي وفي الساعة الثامنة و نصف صباحا عقدت الهيئة الإدارية جلسة برئاسة الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، اجتمع بنادي الترقي بعاصمة الجزائر اثنان و سبعون من علماء القطر الجزائري ، و طلبة العلم فيه إجابة لدعوة

[4] أحلام بلولي ، المرجع تفسه ، ص 12 .

[5] سفيان فلاح ، النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من 1936م الى 1956م .

رسالة ماستر جامعة تلمسان ، 1436هـ-1437هـ / 2015م-2016م ، ص 8 .

خاصة من لجنة تأسيسية متألفة من جماعة من فضلاء العاصمة عميدها السيد عمر اسماعيل أحسن الله جزاء الجميع و غرض الدعوة هو تحقيق فكرة طالما فكر فيها علماء القطر فرادى وهي تأسيس جمعية العلماء المسلمين و قد لبى الدعوة كتابة بالقبول و الاعتذار نحو خمسين عالما [6] ، و أذن لها بممارسة نشاطها التعليمي التوعوي بين أفراد المجتمع الجزائري ، و بعد ذلك أصبحت حركة فكرية لها تأثير داخل الوطن و حتى خارجه .

ثالثا : أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

يعد ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال حرص الشيخين عبد الحميد ابن باديس والشيخ البشير الابراهيمي على تأسيسها تقوم بمجموعة من أهداف و المبادئ التي تساهم في تغيير عقائد و سلوك أفراد المجتمع الجزائري ، و نبذ المستعمر و أفكاره بإلحاق الجزائر بفرنسا التجنيس وطمس معالم الأمة الجزائرية، و مما أوضحه الشيخ عبد الحميد ابن باديس في مجلة الشهاب :" أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي جمعية إسلامية جزائرية في مدارها وأوضاعها ، علمية في مبادئها وغاياتها ، و قد أسست من أجل تحقيق هدف تتطلبه ظروف الجزائر و أوضاعها السياسية و الثقافية والاجتماعية ، و هو تعليم الدين و اللغة العربية و بعث الثقافة العربية الإسلامية في البلاد و المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية للجزائر "[7].

وقد تعددت أهداف و برامج الجمعية حيث شملت مختلف النواحي الثقافية والدينية والسياسية و الاجتماعية ، و يقول في هذا شارل أندري جوليان:" كان برنامج العلماء دينيا وثقافيا في آن واحد، من الوجهة الدينية أرادوا الرجوع بالإسلام في الجزائر إلى نقاوته الأصلية...ومن الوجهة الثقافية سعوا على

---

[6] محمد طالب الابراهيمي ، آثار الامام البشير الابراهيمي ، ج1 ، دار الغرب الاسلامي بيروت1997م ،ص71 .

[7] تركي رابح ، الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الاصلاح الاسلامي و التربية في الجزائر المؤسسة الوطنية للإتصال ، ط2 ، الجزائر 2001م ، ص 203 .

جمع شتات المجموعة الإسلامية بالتقريب بين السنيين والخوارج والعرب والبربر بدون مميز في الجنس أو الأصل قصد خلق كتلة واحدة من المسلمين الجزائريين"[8].

وتمثلت جملة من الأهداف فيما يلي :

- محاربة مختلف الآفات و الظواهر الاجتماعية من شرك و بدع و خرافات و دروشة و الرجوع بالمجتمع إلى مبادئ الدين الاسلامي الصحيح من العمل بالكتاب و السنة على فهم سلف الأمة

- نشر التعليم العربي الحر و توعية و تثقيف الجزائريين ، و إحياء التاريخ الاسلامي وإنشاء المدارس وبناء المساجد والكتاتيب القرآنية ، كما تعمل على إعادة الاعتبار للغة العربية ونشر العلم ومكارم الأخلاق ،و محاربة الجهل والانحلال السلوكي و الأخلاقي للجزائريين

- محاولة استرجاع الاستقلال للجزائر و تكوين دولة عربية مستقلة ، وغرس مبادئ الاستقلال و الحرية في ذهن المواطنين و نبذهم للمستعمر و سياسته التعسفية ، و أعلن ابن باديس رحمه الله سنة 1936م و هو مازال عضو في المؤتمر الإسلامي أن الهدف من وجود الجمعية هو ضمان الشخصية الجزائرية[9] .

رابعا :وسائل نضال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

سعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها إلى نبذ المستعمر و أفكاره المتطرفة من سياسة التجهيل وتشجيع الطرق الصوفية التي نشرت في أوساط المجتمع الدروشة والبدع الخرافات و التمسح و التبرك بالأضرحة و الأولياء و القبور ، ويرى الشيخ عبد الرحمن شيبان:" أن الإصلاح بدأه الإمام عبد الحميد بن باديس وأقرانه من العلماء أمثالا الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والشيخ

[8] صبرينة شامة ، الجهود الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (مبارك الميلي أنموذجا) رسالة ماستر جامعة أم البواقي ، 2018م- 2019م ، ص 25 .

[9] سفيان فلاح ، المرجع السابق ، ص ص 13 14 .

الطيب العقبي، وغيرهما فيقول": الفكر الإصلاحي عند ابن باديس هو فكر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ومبارك الميلي والعربي التبسي، وشعارهم في ذلك لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها ، و صفاء العقيدة التي لا تشوبها البدع والضلالات "[10]، و إحياء التعليم العربي الحر و محاربة الأمة و ذلك من خلال المساجد و المدارسو الكتاتيب .

1-الوسائل التعليمية :

اتخذت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في توسعها عبر أنحاء الوطن على عدة وسائل تعليمية تثقيفية عدة ، و لعل أهمها المسجد الذي كان له الدور المهم في تعليم الناس المبادئ الاسلامية من صلاة وزكاة و طهارة و صوم و غيرها ، كما حذرت من البدع و الخرافات و الاعتقاد في القبور التي سعى المستعمر على نشرها في أوساط المجتمع ، و كذا المدارس التي لا تقل أهمية عن المسجد في تعليم الأطفال مبادئ القراءة و الكتابة و مختلف العلوم الدينية من فقه و حديث وقرآن و علوم اللغة و تفسير.

أ-المساجد : كان المستعمر الفرنسي بعد احتلاله الجزائر يهدف إلى ضم المستعمرة الجديدة تحت راية الصليب المسيحي وعلى هذا الأساس كان يعطي الأوامر بتحويل المساجد إلى كنائس كما تعرض الجزء منها إلى الهدم والتخريب، و رغم كل ما حدث إلى عدد من المساجد عمدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إليها كوسيلة ضرورية للدعوة و تربية النشء ، و تأسيس صرح ديني دوره تحفيظ القرآن الكريم وتعليم الأطفال القراءة و الكتابة إضافة إلى مختلف العلوم الدينية من فقه و حديث و لغة عربية و تفسير، قال ابن باديس : " إذا كانت المساجد معمور بدروس العلم فإن العامة التي ترتاد المساجد تكون من العلم على

[10] أسعد لهلالي ، وسائل الاصلاح عند عبد الحميد ابن باديس (من خلال أبرز تلامذة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) ، مجلة هيرودوت للعلوم الانسانية و الاجتماعية ، العدد 5 ، سنة 2018م ، ص 31 .

حظ وافر وتتكون منها طبقة مثقفة الفكر العقيدة وبصيرة صحيحة، بالدين فتكمن هي في نفوسها ولا تهمل وقد عرفت العلم وذاقت حلاوة بتعليم أبنائها وهكذا ينشر العلم في الأمة ويكثر طلابه من أبنائها "[11].

ومن أهم المساجد التي اعتمدت عليها الجمعية نذكر: المسجد الكبير، سيدي قموش سيدي عبد المؤمن سيدي بومعزة، ومدرسة جمعية التربية والتعليم، والجامع الأخضر، وسيدي فتح الله وهذه المؤسسات كلها ما زالت موجودة بمدينة قسنطينة إلى اليوم ، أما الكتب التي كانت تعتمد في التدريس فهي: الموطأ للإمام مالك ، أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك ، الرسالة والآجرومية ، وكانت هناك مساجد أخرى في تلمسان ووهران و سطيف و مازونة وغيرها حيث وجدت في جميع أنحاء الجزائر و نكاد لا نجد قرية من دون مسجد ، و يقول الشيخ البشير الإبراهيمي " فأنشأت بمالها بضعة و تسعين مسجدا في سنة واحدة في أمهات المدن والقرى "[12] ،و يتعلم فيها عدد كبير من الطلبة الكبار في المستوى الثانوي على الطريقة والكتب والأسلوب الذي كان معروف في الجوامع الإسلامية الكبرى مثل الأزهر و الزيتونة والقرويين

و كانت دروس الجمعية في المساجد تقوم على نوعين : فالأول دروس منتظمة على طوال اليوم في كل من تلمسان و مازونة و قسنطينة و الجزائر ووهران ، و يتعلم فيها الكثير من الطلبة الذين أكملوا دراساتهم بالكتاتيب والمدارس علي يد أفضل العلماء ، وعلى طريقة و أسلوب الجوامع الإسلامية الكبرى كالأزهر و الزيتونة و الحجاز من حيث المناهج المعتمدة في التدريس[13] ، و النوع

[11] أسعد لهلالي ، المرجع نفسه ، ص 29 .

[12] صبرينة شامة ، المرجع السابق ، ص 34 .

[13] فدوى عباس – حسينة حلال ، التعليم في اهتمامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931م-1945م مذكرة ماستر ، جامعة خميس مليانة ، 1438هـ-1439هـ/ 2017م-2018م ، ص57 .

الثاني : يتمثل في الحلق والخطب و المحاضرات التي كانت توجه إلى عامة الناس وتكون بين صلاتي المغرب و العشاء و في شهر رمضان ، و حتى بين الأذان الأول و الثاني لصلاة الجمعة ، و ترسل الجمعية كبار المشايخ و حتى من أعضاء الجمعية إلى معظم مساجد الجزائر لتعليم الناس أحكام دينهم.

ب-المدارس : همت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ بدايتها إلى إنشاء المدارس الحرة في مختلف جهات الوطن وذلك لنشر التعليم و القضاء على الأمية التي كانت تنخر جسد الأمة كما استطاعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن تشيد حوالي 70 مدرسة سنة 1935م بفضل تبرعات و صدقات الشعب ، و قد قدر عدد تلاميذها حوالي 30 ألف تلميذ و تلميذة و كانت أول مدرسة اسستها الجمعية مدرسة التربية و التعليم بقسنطينة سنة 1936م ، وقد نجحت جمعية العلماء المسلمين في ظرف 5سنوات من تأسيس 136مدرسة حرة في الجزائر تجذرت في جميع ولايات الوطن فكانت المدارس الابتدائية تقوم بتعليم الأطفال الصغار نهارا والشباب والكهول ليلا [14]، وفتحت مدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر و مدرسة تهذيب البنين بتبسة [15]و كانت هذه المدارس تعلم النحو والصرف والبلاغة و الفقه و التوحيد و المنطق و تعلم التلاميذ أبجديات الكتابة و القراءة .

وفي عام 1947م خطت الجمعية خطوة إلى الأمام و قررت تكوين معاهد ثانوية يتابع فيها خريجو المدارس الابتدائية فيها دراستهم ، و استقر رأيهم في البداية على تكوين معهد ثانوي في قسنطينة ليكون نواة لغيره يحمل اسم ابن باديس عرفانا بفضله [16]، و يعد إنجاز لا مثيل له من إنجازات الجمعية من حيث

[14] فدوى عباس – حسينة حلال ،المرجع نفسه ، ص 51 .

[15] صبرينة شامة ، المرجع السابق ، ص 34 .

[16] صبرينة شامة ، المرجع السابق ، ص 34

السياسة التعليمية و المناهج المعتمدة في التدريس و كانت الدراسة في المعهد تمتد أربع سنوات يخضع الطلاب في نهاية كل سنة إلى امتحان مرورا إلى السنة الأعلى ، و كان خريجو المعهد يوفدون في عداد البعثات العلمية إلى جامع الزيتونة و القرويين و الأزهر وحتى جامعات المشرق رغبة منهم في مواصلة الدراسة ثم العودة و تعليم أبناء وطنهم مختلف العلوم العقلية و النقلية.

و أما في عام 1951م بلغ عدد مدارسها 125مدرسة واشتملت على 300فصل دراسي وضممن التلاميذ المتفرغين للدراسة في مدارس الجمعية بالنهار، وهم الذين يطلق عليهم اسم التلاميذ النهاريين،أما الآخرون فهم الجزائريين الذين يحضرون للدراسة في مدارس الجمعية بعد انتهائهم من الدراسة في المدارس الفرنسية[17].

2-الوسائل الإصلاحية :

بظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عزمت على إصلاح المجتمع بوسائل مختلفة و منها النوادي التي ساهمت بشكل كبير في تثقيف و توعية الشيوخ و الرجال و النساء الذين لم يتمكن لهم من الالتحاق بالمدارس ، و أقيمت بها المحاضرات و الدروس في الفقه و التفسير الحديث النبوي و غالبا ما تقام في الليل و ذلك ليتمكن الجميع من حضورها ، و حتي البعثات العلمية إلى الحجاز و الزيتونة و القرويين فقد ساهمت في تعليم الناس أمور دينهم و إصلاح ما أفسده المستعمر و القيم و الأخلاق الإسلامية ، و ذلك برجوع هؤلاء الطلبة إلى الجزائر و تصدر التعليم و الخطابة في مختلف أنحاء الوطن .

أ-النوادي :بما أن النوادي لها دور في تبادل الثقافات و الآراء ووسط للاجتماع بين مختلف أطياف الناس حيث عمدت جمعية العلماء المسلمين

[17] بوسعيد سومية ، القضايا الوطنية من خلال صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (البصائر أنموذجا) رسالة دكتورة جامعة سيدي بلعباس ، سنة 1435هـ-1436هـ/ ،2014م-2015م ، ص 102 .

الجزائريين إلى ضرورة تأسيس النوادي باعتبارها في حكم مدراس التعليم لأنها تجذب الشباب من الشوارع و تضمهم و تبين لهم ما فيه صلاحهم و تهذب أخلاقهم و تثقفهم ، و كان النادي الثقافي الإسلامي يشمل على قاعة اجتماعات و مكان للصلاة حيث كانت تجرى اللقاءات و تنظم الندوات الخاصة و يقدم الوعظ والإرشاد ،و قد التفت الجمعية بالشباب في هذه النوادي و نظمت لهم محاضرات تقوم سلوكهم و تعرفهم بالقيم الإسلامية ، و تقدم دروسا تعلمهم تعاليم دينهم ولغتهم و تاريخهم .

و كان تأسيس نادي الترقي سنة 1927م حيث اتحد أعيان مدينة الجزائر و فتحوا له محلا بساحة الحكومة وأصبح نقطة التقاء المثقفين الذين تسربت إلى عقولهم دعوة القومية العربية وأصبحت مركزا للاحتفالات والمحاضرات بالإضافة إلى نوادي أخرى مثل : نادي السعادة و نادي الاتحاد و نادي الإرشاد[18].

وكانت جمعية العلماء تعتبر النوادي العربية الإسلامية تكملة لما تقوم به المدرسة والمسجد، لأن هناك أعداد هائلة من الجزائريين لم تجد الجمعية أية وسيلة لتبليغهم المبادئ الإسلامية إلا تلك النوادي التي كان لها الدور البارز في مختلف أشكال الثقافة الدينية والاجتماعية والرياضية عن طريق المحاضرات والدروس وما يعتمد فيها من ندوات واجتماعات ومؤتمرات ، و ذلك لحمايتهم من عوامل الانحراف و الفساد الأخلاقي و تربيتهم تربية إسلامية حتى لا يتأثر هؤلاء بالثقافة الفرنسية ، وقد كان المصدر المادي الذي تعتمد عليه النوادي في أداء رسالتها الثقافية والتربوية على أملاك الأوقاف و الهبة والصدقات التي يقدمها الناس، ويقول الشيخ البشير الإبراهيمي :" هي وسط جامع بين المدرسة و بين

[18] بوسعيد سومية ، المرجع السابق ، ص 101 .

الجامع لان هناك طائفة عظيمة من شباب الأمة لا تجد الجمعية وسيلة لتبليغه دعوة الدين و العلم إلا في تلك النوادي " [19].

ب- الهجرات العلمية : تعد البعثات العلمية التي سعى لها الشيخ عبد الحميد ابن باديس فور عودته من مصر وتونس نقلة كبيرة لبعث النهضة التعليمية بالجزائر ، و كان الهدف منها هو خلق نخبة مثقفة عربية اسلامية تستمد معالمها من جامع الزيتون و الأزهر و الحرمين لتكوين جماعة من حاملي أفكار صحيحة و راقية هدفها الإصلاح وتطوير التعليم في الجزائر ، و قد قامت الجمعية باتخاذ الإجراءات اللازمة لتنظيم البعثة و تجهيزها و ذلك بوضع عدة شروط للالتحاق بالتعليم في الخارج ، و تم الاتفاق على كل من مصر و العراق و سوريا و الكويت و المملكة العربية السعودية وذلك ليتوسعوا في العلوم الدينية ،و كان عبد الحميد ابن باديس يهدف إلى : " إعادة الجسور الثقافية و مغالطة المستعمر الذي لم يتفطن بادئ الأمر إلى أهمية البعثات على مستقبل الثورة الثقافية في الجزائر ، إلا عندما فوجئ بطلائع تلك البعثات يساهمون في الحركة الإصلاحية و يؤلفون إطارها السياسي و الصحفي و العلمي " [20]، و لأن الوطن كان في حاجة ماسة إلى كفاءات فنية من هذا القبيل لتدير البلاد الجزائرية في المستقبل .

و تم إرسال بعثة إلى مصر و أشرف عليها الفضيل الورتيلاني ، وقد كتب ابن باديس رسالة إليه يقول فيها : " و إن البعثة الأزهرية تتوقف على أمرين : إذن السفر و النفقة فأما الإذن فقد ذكرتم أنه سهل الحصول عليه من هنا لكم و أما النفقة فالجمعية غير مقتدرة عليها الآن لأن ماليتها لا تدخل إلا في سبتمبر ان شاء الله فأريد منكم أولا أن تتحققوا التحصيل على الإذن من هنا لكم ، و أن تعرفوني بما يلزم كل تلميذ لنفقة سفره لأنظر إن كان يمكنني تحصيل المطلوب ،

[19] بوسعيد سومية ، المرجع نفسه ، ص 101 .

[20] لهلالي أسعد ، المرجع السابق ، ص 32 .

و أما أعضاء البعثة إن شاء الله فهم المشايخ : الفضيل الورتيلاني إسماعيل أعراب محمد الغسيري ، أحمد حماني ، مصعب بن سعد الجيجلي "[21].

أ- الوسائل السياسية :

أسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مجموعة من الصحف التي كان لها الأثر الكبير في التعريف بها و بأهدافها و برامجها التي سعت منذ البداية على تحقيقها ، فكان نشاطها في الوطن من خلال إصدار عدة صحف رغم التضييق الاستعماري و ذلك للتعريف بالقضية الجزائرية و المحافظة على الهوية الإسلامية ، أما في الخارج عملت على إبراز جرائم المستعمر و لتلقي الدعم المادي من دول الجوار و خاصة تونس ، كما عمدت الجمعية على تأسيس الجمعيات الخيرية و الطلابية التي اهتمت بطبقة الفقراء المساكين و المحتاجين ، و كذا كان لها دور في تعليم أبناء الوطن و الحرص عليهم في الخارج .

أ-الصحافة : فمنذ تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين اتخذت من الصحافة الوسيلة الأولى لنشر دعوتهاو مبادئها و أهدافها بين الجزائريين و دفاعا منيعا تواجه به خصومها من الإدارة الاستعمارية و رجال الطرق الصوفية و أبناء الوطن المتعاونين مع المستعمر ، و اتخذ ابن باديس من جريدة المنتقد التي أصدرها سنة 1926م وسيلة لمهاجمة الطرق الصوفية ، ثم واصل الهجوم على الطرقية من خلال جريدة الشهاب التي أصدرها بعد إغلاق المنتقد[22]، و بعد سنتين من تأسيس الجمعية أنشأت صحيفتها الأولى و هي السنة النبوية سنة 1933م ثم الشريعة المحمدية و الصراط السوي في نفس السنة[23].

---

[21] مازن صلاح مطبقاني ، عبد الحميد ابن باديس العالم الرباني و الزعيم السياسي ، دار القلم دمشق ط2 ، ص 118 .

[22] لهلالي أسعد ، المرجع السابق ، ص 32 .

[23] محمد بهي الدين سالم ، المرجع السابق ، ص 56

ثم جريدة البصائر سنة1935م التي تعد لسان حال الجمعية ، و قد عمرت أطول من سابقيهاثم تعرضت للحل من طرف الإدارة الفرنسية ، وفي يوم 16 أفريل 1940م توفي الإمام بن باديس لكن نشاطها استمر بعد الحرب العالمية الثانية برئاسة محمد البشير الإبراهيمي[24]، ويضيف الدكتور عبد المالك مرتاض:" وإذا كانت هذه الجريدة تعد أطول جرائد جمعية العلماء عمرا ، و أعرضها شهرة و أرقاها كتابة فإنها و بغض الطرف عن كل الاعتبارات قد تكون أرقى جريدة عربية عرفتها الجزائر في تاريخها الحديث إلى سنة توقفها ، فقد استطاعت أن تستقطب أهم الأقلام الجزائرية وأكبرها شأنا، وأرصنها تفكيرا وأجملها إبداعا ... فهذه الكوكبة من أدباء الجزائر والمغرب هي التي جعلت هذه الجريدة تتبوأ مكانة أدبية أثيرة في نفوس عامة المثقفين في المغرب العربي كله"[25].

حملت الصحافة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على كاهلها عبئ محاربة الاستعمار الفرنسي بكل أشكاله ، و العمل على إحياء الشخصية الجزائرية و ربطها بالوطن العربي الإسلامي و إبراز معالم تاريخ الأمة الإسلامية و المتصفح للصحف في الجزائر خلال عقد الثلاثينيات يجد فصولا كاملة من كتب العلماء و الفقهاء و المؤرخين التي تنشرها الصحافة المذكورة لقراء العربية مستهدفة إطلاع الجمهور على مراحل الكفاح الذي سجله الأجداد في مختلف العصور ضد المحتلين الأجانب .

أ- **تأسيس الجمعيات** :ساهمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تأسيس الجمعيات في أوساط المجتمع الجزائري و التي تهدف إلى توعية و تثقيف الكبار و مساعدة مختلف شرائح المجتمع في التربية و التعليم و تعددت نشاطات الجمعيات في الداخل و الخارج و حتى مساعدة الطلبة في مختلف المراكز العلمية

[24] صبرينة شامة ، المرجع السابق ، ص ص30 31 .

[25] لهلالي أسعد ، المرجع السابق ، ص 33 .

في الجزائر و المغرب ، و من بينها جمعية طلاب شمال افريقيا في الجزائر ، و قد رأى الطلبة المغاربة أن يؤسسوا جمعية تضمهم و تقوي أواصر الوحدة بينهم ، و قد برز ثلة من العلماء الجزائريين أعضاء الجمعية الذين كان لهم دور بارز في نشاط هذه الجمعية ، و كان دورهم في التعليم و التربية لأبناء الوطن العربي على الصعيد الداخلي ، وأما الصعيد الخارجي ظهرت جمعية طلبة شمال إفريقيا في فرنسا التي كان هدفها التعريف بالهوية الإسلامية و رفض التجنس و التبعية للمستعمر، و برزت خارج الوطن ومن بينها جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين التي تأسست سنة 1353هـ/1934م في تونس [26] و التي أشرف على تكوين مجلسها الإداري الشيخ البشير الإبراهيمي ، و التي تهدف إلى تقوية الروابط بين الطلبة الجزائريين بتونس و مساعدة الفقراء و المحتاجين منهم ، و حتى مرافقة الطلبة إلى المعاهد العلمية و العمل على مراقبة التحصيل العلمي للطلبة في مختلف العلوم ، إذ يقول الطاهر السعدي : " جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين تسهر على مصالح الطلبة و توجيههم إلى ما فيه الخير و السداد للأمة و الوطن "[27].

وتعددت الجمعيات التي لم يكن لها دور في التعليم فقط بل شملت مختلف المجالات ومن بينها جمعية تجار قسنطينة التي تأسست سنة 1535هـ/1934م برئاسة بلقاسم بوشجة[28]وقد حوت هذه الجمعية تجار قسنطينة و ما جاورها ، حيث كان الهدف منها هو دعم الجمعيات الخيرية وجمعية التربية والتعليم و الجامع الأخضر و " جمعية آمال " التي ضمت تجار من جميع أنحاء الجزائر التي كان لها نفوذ كبير في الاقتصاد الجزائري ، حيث أصبحت الجمعية تستورد من الخارج مختلف السلع التي كان يحتكرها الفرنسيين و اليهود،

[26] مازن صلاح مطبقاني ، المرجع السابق ، ص 117 .

[27] بوسعيد سومية ، المرجع السابق ، ص 297 .

[28] مازن صلاح مطبقاني ، المرجع السابق ، ص 121 .

و ساهمت كثيرا في بناء المدارس و المساجد و النوادي و مساعدة الفقراء وجمعية الشباب الفني التي تأسست عام 1355هـ/1936م[29]، و هدفها إحياء الفنون الإسلامية والاقتباس من الغرب كالفن التمثيلي لخدمة الفكر الإسلامي ، و قد اختيرا بن باديس رئيسا شرفيا لها وكان من أهدافها الدعوة إلى الأخلاق العالية وكبح شهوات النفس و الدعوة إلى تجنب الخمر و الميسر و التزوج بالأجنبيات .

خاتمة :

تعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أهم التنظيمات التي عرفتها الجزائر خلال الاستعمار الفرنسي و قد كانت و لا تزال برامجها و مبادئها و وسائلها مركز إشعاع علمي و ديني للأجيال القادمة والمتمعن لدور الجمعية يجد أن نشاطها كان اصلاحي تعليمي و ديني لكل أصناف الناس من الكبير إلى الصغير، وكان هدفها إنشاء جيل محصن بالعروبة و الإسلام وحب الوطن .سخرت الجمعية كل جهودها لنشر التعليم المسجدي و إلقاء الدروس والخطب والمحاضرات التي كانت تقام في الليل والنهار لتمكين مختلف أطياف المجتمع الجزائري من التعليم و التربية والتثقيف ، كما كانت تختار برامجها بدقة والتي استوحتها من البرامج الدراسية في المراكز التعليمية الكبرى كالأزهر والقرويين و الزيتونة ، كما قامت بإرسال البعثات الطلابية إلى بلدان عربية لمواصلة مسارهم الدراسي في المعاهد والجامعات الكبرى لتكوين كفاءات تسير بالجزائر إلى مستقبل أفضل .

عملت جمعية العلماء المسلمين منذ تأسيسها على تحرير فكر الشعب الجزائري كبارا أو صغارا في جل أنحاء الوطن ، وذلك من خلال القضاء على الأفكار الدخيلة التي بثها أصحاب الطرق الصوفية و خاصة الغلاة منهم و كان ذلك بتحريض و دعم من الاستعمار الفرنسي ، ومحاولة النهوض بثورة إصلاحية تشمل مختلف المجالات سواء التعليمية و الثقافية والدينية والثقافية والاجتماعية

[29] مازن صلاح مطبقاني ، المرجع نفسه ، ص 117 .

والسياسية ، فقد كان مبدأ الجمعية هو تحرير العقول أولا من الجهل والأمية والخرافات و البدع و السحر و الشعوذة و بعدها تحرير الوطن من المستعمر الظالم ، فقد أدركت أن تحرير الجزائر لا يتم ما دام المستعمر يسيطر على الفكر ويبث فيه أفكار سلبية من الفرنسة و التجنس و حتى الخروج من الإسلام وكان هدف الجمعية تربويا وتعليميا منذ ظهورها في أوساط المجتمع متخذة في ذلك مختلف الوسائل من مساجد ومدارس و نوادي و غيرها .

استطاعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن تقف فيوجه دعاة الطمس و التجنيس والتشويه التي قادها المستعمر الفرنسي في الجزائر ، والمحافظة على كيان الأمة الجزائرية بمكوناتها العربية والاسلامية من خلال مشروع مستوحى من الشريعة الاسلامية ، كما أنها نجحت الجمعية في نشر التعليم رغم كل الاجراءات التعسفية التي اتخذتها الادارة الفرنسية ضدها ، وكونت إطارات و معلمين حملوا راية العلم و أحبطت بذلك مخططات المستعمر للقضاء على الهوية الوطنية للشعب الجزائري .

قائمة المصادر و المراجع

المراجع :

1- تركي رابح ، الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الاصلاح الاسلامي و التربية في الجزائر المؤسسة الوطنية للإتصال ، ط2 ، الجزائر 2001م .

2- مازن صلاح مطبقاني ، عبد الحميد ابن باديس العالم الرباني و الزعيم السياسي ، دار القلم دمشق ط2 -

3- محمد بهي الدين سالم ، ابن باديس فارس الاصلاح و التنوير ، دار الشروق ، 1999م .

4- محمد طالب الابراهيمي ، آثار الامام البشير الابراهيمي ، ج1 ، دار الغرب الاسلامي بيروت1997م .

5- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1830م- 1900م، دار الغرب الاسلامي ، ج1 ط1 بيروت 1992م .

المذكرات :

1- أحلام بلولي ، بلاغة اللغة في أدب المقال الاصطلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي – عيون البصائر أنموذجا ، رسالة ماجستر ، جامعة البويرة ، 2013م-2014م .

2- بوسعيد سومية ، القضايا الوطنية من خلال صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (البصائر أنموذجا) رسالة دكتورة جامعة سيدي بلعباس ، سنة 1435هـ-1436هـ/ ،2014م-2015م .

3- سفيان فلاح ، النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من 1936م الى 1956م .

رسالة ماستر جامعة تلمسان ، 1436هـ-1437هـ / 2015م-2016م .

4- صبرينة شامة ، الجهود الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (مبارك الميلي أنموذجا) رسالة ماستر جامعة أم البواقي ، 2018م- 2019م .

5- فدوى عباس – حسينة حلال ، التعليم في اهتمامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931م-1945م مذكرة ماستر ، جامعة خميس مليانة ، 1438هـ-1439هـ/ 2017م-2018م .

المجلات :

أسعد لهلالي ، وسائل الاصلاح عند عبد الحميد ابن باديس (من خلال أبرز تلامذة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) ، مجلة هيرودوت للعلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد 5 ، سنة 2018م.